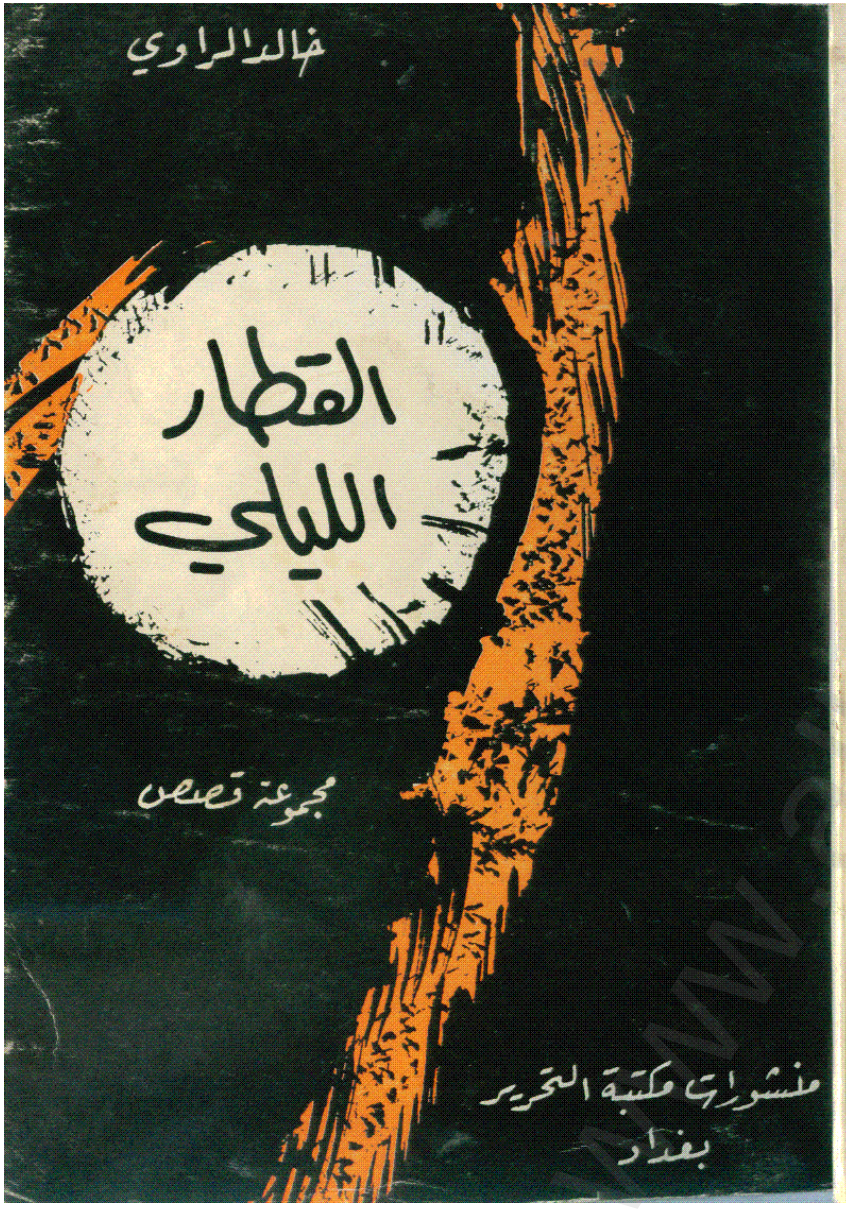

www.alkottob.com

القطار الليلي

www.alkottob.com

www.alkottob.com

خالد الراوي

القطار الليلي

مجموعة قصص

منشورات مكتبة التحرير
بغداد

www.alkottob.com

حُقوق الطبع محفوظة

رجل ما .. دون التقـاء

اشتبه الرجل المنعزل في غرفته بأنه سيموت .. وكان صراخ الاطفال اللاهين يصل اليـه من أسفل المنزل .. وتخيل النسوة يتنقلـــن ، مشغـــولات بأعمالهن اليومية ، دون ان يعلم الجميع بان رجلا ، في غرفة عليا ، يموت وحيدا .

أراد ان يزحف من سريره الى الباب ، فيفتحه ، ويهتف طالبا المعونة . ولم يتجرأ على الخـروج من فراشه لان الحركة شقت عليه ، وتصـــور انه اذا صرخ فان روحه ستنفصل عنه !

كان النزل الذي يرقد الرجل في غرفة عليا منه واسعا وقديما . وجميع غرفه مليئة بعوائل مهاجرة مضنكة .

ـ ماذا سيقدمون لي ؟

التمس الرجل عواطف منقطعة وتذكـر زوجته وأطفاله الثلاثة الذين قتلوا في نزاع قبلـــي منذ سنوات ، وود لو بقي أحدهم الى جانبه ... لقد

www.alkottob.com

هرب من قريته والتجأ الى المدينة ، واشتغل عامل تفريغ في احدى العلاوي ، وكانت أجوره زهيدة لم تمكنه من الزواج ثانية ٠

(انفتح الباب وظهرت امرأة يلتصق بها ثلاثة اطفال ٠٠ تسللت ببطء كي لا توقظه ، ومشى الاطفال على اصابعهم ووقفوا بجانب السرير ينظرون الى الرجل ويتفحصونه ٠

ابتسم الرجل ومد يده الى اقرب الاطفال وداعب رأسه ٠٠ كانوا جميعا ساكنين ينظرون اليه بتمعن ٠

استقام في سريره ولمس المرأة ٠٠ نظر في عينيها ومرر يده على جسدها وهمس :

ـ عدتم اخيرا ايها الاعزاء ٠

ولم يجبه أحد ٠

ـ أنتم متعبون ٠٠ تعالوا وناموا بجانبي ٠٠

واندفع الى طرف السرير ٠

ـ تعالوا ٠

ولم يتحركوا ٠٠

ـ زوجتي العزيزة الا تسمعين؟وانتم يا أطفالي؟

أحتد صارخا :

ـ تعالوا وناموا ٠٠

استدارت الزوجة الى الباب ، وتبعها اطفالها ، وخرجوا)

ـ تعالوا ناموا ٠ انتم متعبون ٠ انتم متعبون ٠

كانت الغرفة مظلمة ، والرجل على سريره يتتبع صدى كلماته الاخيرة ٠٠ ومن خلف الباب ارتفعت ضحكة رعناء ٠

www.alkottob.com

ـ افراح ـ

اقترب خادم المستشفى من المريضـــة الثريـة الجميلة ، وهي تفقد وعيها في الطابق الثـــاني من المستشفى ، وكانت أية فتاة جميلة حلما مستحيلا في حياته ·· انحنى فوقها وقبلها · انفرجت عيناها وصرخت ·

ركض الممرضون والخدم ودخلوا الغرفة · كانت المريضة قد فقدت وعيها ·

وكانت اجساد كثيرة منحنية فوق خادم مستشفى تحطم في الحديقة عندما قفز مذعورا من نافـذة في الطابق الثاني ·

اشراقات

نظر الشاب النحيل المتصلب الى فوهات في الارض يسيل منها ماء ·· وكانت الغرف المتينة التي شاهدها من قبل ، مهدمة ، وحجارتها مبعثرة على السفح الصغير المقعر ·· التحم بصره بالحجارة المتناثرة وانفرج فمه حزنا ·

كان يحس بالظمأ يشقق جوف فمـــه واراد ان ينحني فوق الفوهات :

ـ هذه المياه لم تكن تتدفق سابقا ، لا بد انهـــا باردة في هذه الجبال ··

توقفت اصابعه فوق المياه والتمت على راحة يده ونهض ·· ابتعد عن المياه وراح ينظر الى الغـــرف التي دخلها سابقا ·· لم يبق منها شيء ·· (كانوا أحد عشر مقاتلا يحرسون القاعدة عندما انقضت الفانتوم الاسرائيلية واستشهد الحراس جميعهم) برزت بقع من الدماء تشع في زوايا الحجـارة ·· اقترب منها ولم يجد شيئا ·· برزت في أماكـــن

www.alkottob.com

مقابلة ... كف عن الذهاب وانحدر قليلا ..
(لقد فجرت القنابل المياه من الارض) .

انحسر طير من اعلى السفح ومر فوق القاعدة هابطا ثم عبر دون ان يقف .. تابعه .. ثم وضع يديه في جيبي قمصلته وبدأ يرتجف .

كانت الارض لينة مبلله بالمطر الجديد في بداية الشتاء .. علقت بحذائيه كومة من الطين وتكاثرت وعندما انحرف الى جانب صخري ضرب حذائيه وتحرر ثقله .

عندما وصل أول مرة الى القاعدة كان الرجال يتحركون وكانت القاعدة تبدو وكأنها تتحرك معهم وكان مقاتلو الدورة الجديدة تفيض عواطفهم وتتوحد مع القاعدة والافق والسلاح .

كانت المدينة بعيدة . وكان السلام الشخصي مضمونا فيها ، ولكن هنا ، ثمة هواجس وحركة أخرى . كانت المدينة تستيقظ أمام التخيل اشد سطوعا ، وتفاصيل دقيقة ، ثم تغيم وتتلاشى امام الحجارة الحقيقية والغرف المنحوتة في الجبل .. هنا يتكور الرجل على الارض محدقا في خرائط ومدن مفقودة . مدن بعيدة تصبح نقاطا على الورق . ويتذكر بعض الوجوه ويحس بالحرارة والصدق .

ـ لم يبق شيء في هذه القاعدة . آلامي تتحرك

في كل مكان وتذكر فجأة ان ثمة اشياء تملأ المكان .. هناك الدماء الخفية التي تناثرت من اجساد الشهداء .. وربما بقيت بعض الايدي تحت هذه الصخور أو قطع اخرى من اجسامهم . ونظر مرة اخرى الى المياه المتدفقة وهي تتحول ، ثم تتصلب الارض .

أحس برأسه ثقيلا وأمسك جبهته الملتهبة . نزل رويدا بين الصخور مأخوذا ، وغاصت قدمه في المياه المتفجرة .. كانت برودة الماء ترجف قدمه وحرارة الدم تغلي في رأسه .

ترك القاعدة ركضا . وهو ينفض قدمه نفضات متتالية .

www.alkottob.com

ـ العنكبوت ـ

امتدت كتلة سمراء كثيفة من خلف الزجاج ·

أحس الرجل الراقد انه يختنق · صرخ :

ـ اغلقوا الابواب · الغبار سيقتلني ·

هرعت أمرأته الحامل الى سريره وهمست :

ـ انها مغلقة ·

تباطأ صوته وهو يعلق نظرته بالبطن المنتفخة :

ـ عسى ان يكون صبيا ·· حافظي عليه ليدوم اسمي ·

تشنج الرجل الباحث عن الخلود ومات ·

لحظت المرأة موته · تحاملت على نفسها وفتحت الباب لتطلب نجدة · ثم سقطت على الارض ·

كانت دماؤها تنزف والغبار المتدفق يتراكم فوقها ·

ـ آه ـ

اتكأ الموظف على منضدته الخشبية القديمة :
ثلاثون سنة فقط في الوظيفة ! ثلاثون فقط !

الموظفون الشباب يتنقلون في القاعة الواسعة ، يتحاشون النظر اليه ، وكانت الاوراق المكومة فوق منضدته قد رفعت في الصباح ·

ـ تقاعد · كتاب شكر · مطالعات جديدة · أضابير · رائحة الاوراق العذبة · الصراخ كان ضحكا · مقهى · مقهى · يقولون ان الراتب سينقص دينارا واحدا · لماذا تعمل من اجل دينار ؟ تكوم الموظفون عليه فجأة وامتدت عشرات الايدي تضغط على يده الرخوة اللاهية ·

ولم يجد بدا من الخروج وهو يمسك ورقة احالته على التقاعد ·

كانت مناضد متهرئة تنخلع عن جسده واوراق صفراء تتطاير من رأسه ·

كان يبتعد ويبتعد ·· ثم تلاشى ·

www.alkottob.com

ـ نمور من ورق ـ

كان الهاربون مجتمعين حول مائـــدة في زاوية معتمة ثم أخرجوا دفاتر قديمة من جيوبهم وبدأوا يقرأون تواريخهم كانت التواريخ تصطـــدم مع بعضها وتحدث جلبة ، حين فتح البـــاب وانتصب شرطي أخذ يحدق فيهم ٠

دس الهاربون دفاترهم خفية تحت المناضد ، ثم ادخلوها بهدوء الى جيوبهم ٠

تقدم الشرطي سائلا :

ـ اين دفاتركم ؟

تناثرت اجوبتهم :

ـ ليست لدينا دفاتر ٠٠ أية دفاتر تقصد ؟

ـ هاهها ٠ وماذا خبأتم تحت المنضـــدة عنـــدما دخلت ؟ لقد شاهدتكم ! مد يده وتلمس جيب أحدهم ثم انتزع دفتره واستدار الى الجميع واخذ دفاترهم ٠

كانوا يرتجفون وهم ينظرون اليه ٠

انسحب الشرطي الى منضدة يشع فوقها ضيـــاء مقلبا الدفاتر ٠ كانت الدفاتر ممزقة ، بيضـــــاء متسخة لم يكتب فيها اي شيء ٠ رفعها ورماهـــا الى منضدتهم ٠ ثم خرج ٠

www.alkottob.com

ـ الاختفاء ـ

فتحت عينيها وهي تبتسم لي بمقت ٠
ملأتني سخرية مشفقة وأنا احدق في وجهها ٠
ارتفع صوتها ساخطا :
ـ اترك هذا المكان ٠
لم أأبه بهتافها وتناولت جريدة وأخذت أقرأ ٠
(كانت تعتقد انني رمز عذابها ، نتيجة ملابسات أفقدتها حبيبها ، وجسدت لها انني السبب ، ادركت هذا الامر ، الا انه لم يثرني على توضيح موقفي ، فالمسألة لا تعنيني اطلاقا ، وبالتالي لا تهمني حالاتها) ٠
ـ غادر الغرفة والا أثرت حولك فضيحة ٠
كانت قد تركت كرسيها ووقفت أمامي ٠
طويت الجريدة ونهضت حدقت في عينيها بقسوة وقلت :

ـ لم لا تغادرين انت المكان ؟
التقطت حقيبتها اليدوية وهي ترتجف ٠ فأتممت :
ـ انك تصدعين رأسي وطالما تغاضيت عن ألاعيبك الخبيثة ٠ سأعاقبك بشدة اذا تعرضت لي مجددا ٠
(لم أدر حقا كيف اعاقبها ٠ فلم يسبق لي ان عاقبت أمرأة ،ان مايهمني هو التخلص منها وحسب)
تركت الفتاة الغرفة ، ثم الشركة ٠
(ينبغي ان اتبعها لابصر ما ستفعل ٠ النساء يستطعن التوازن في النهاية) ٠
بدت من بعيد وهي تستدير الى النهر ٠ فأسرعت خلفها ٠ وقفت على الحافة ثم اسقطت حقيبتها وقفزت كان الماء سريعا ٠
تساءلت وانا انظر اليها وهي تخرج رأسها من المياه :
(اذا تركتها تموت ، سأتخلص من تنغيصها لي) ٠
ولم أدر اي دافع اهوج جعلني أقفز نحوها ٠ فقد ازداد كرهي لها عندما أبصرت عينيها الجزعتين ٠
حاذيتها وضربتها بقبضة يدي على مؤخرة رأسها فاصبحت لينة ٠ سحبتها واستطعت رفعها الى الجرف ٠

www.alkottob.com

وانتبهت الى رجفة انبعثت من جسدي . كان الهواء يضرب ملابسي المبللة . وكانت الفتاة غائبة عن الوعي .

(يبدو ان ضربتي كانت قوية) .

علقت حقيبتها في ذراعي وحملتهـا الى الطريق العام .

أوقفت سيارة اجرة ونقلتها الى شقتي . وعندما اقفلت الباب غمرني السلام . خلعـت ملابسهـا وارقدتها على سريري ... تأملت جسدها العاري (استطيع الانتقام منها الآن انتقاما شرقيا حاسما)

ولم اغتبط لهذا التصور السهل فغطيتها بدثار ثقيل وخرجت . وحين عدت كانت قد فتحت عينها وصرخت :

ـ ما الذي جاء بك الى هنا ؟

قلت : انها شقتي .

انزلقت اصابعها على جسدها من تحت الدثار ثم ولولت دون ان تجرأ على الخروج من الفراش .

ـ ماذا فعلت بي ؟ اين ملابسي ؟

ـ ستجف . لقد انقذتك من الغرق .

ـ الغرق ؟؟

تساءلت باستغراب ثم انقبض وجهها :

ـ هات ملابسي .

سألتها بسخرية :

ـ هل ستنتحرين من جديد ؟

لم تجب .

احضرت لها ملابسها وكانت تقارب الجفـاف رميتها على الفراش وتركت الغرفة .

كنت واقفا في الممر انظر الى الارض المتسخـة بالبلل . ومرت الفتاة بجانبي ثم صفقت الباب .

دلفت الى غرفة النوم والقيت نظرة على سريري ثم مسست ، محموما ، الدفء الذي خلفه جسدهـا العاري على فراشي .

www.alkottob.com

ـ القوس ـ

السيدة • السيدة •

انها تتشبث في الذاكرة ، وتهبط وئيدة لتدخل في الاعصاب • لم أعد اميز ما اذا كانت قد ذهبت تماما ، انها تظهر فجأة من الماضي ، كأنها ستبقى دائما ، ثم تغيب من جديد •

كنت مسترخيا في الغرفة الظليلة أحدق في ورقة ملتصقة بالارض •

(ان الحماسة للافعال تفقد حيويتها عندما نتبين ابتذال هذه الافعال و بطلانها: الوضع العمومي يدمر افعالنا اليومية) لم تكن السيدة قد فارقتني الا منذ فترة قصيرة ، ورغم احساسي بنشوة تدخلني ، الا ان عذاب علاقتي بها يترسخ • عندما املتها لي تماما تفتحت مسؤوليتي ازاء العاطفة • وكنت اهرب من أية مسؤولية ، لذا انكرت ، وعاقبت العاطفة لكونها تحمل خضوعا • ان وحدتي وحريتي ينبغي الا تمسا وانا الذي أقرر متى تبدأ علاقتي ومتى تنتهي :

انني أشعرها بحبي مترقبا اقترابها مني ، وعندما اتأكد من عاطفتها ، اثور غاضبا على خيانتي • لانني بلا عواطف) أنا والسيدة معا •

ـ اخبريني • هل سنلتقي فيما بعد ؟

ـ لا ادري سأرحل •

ـ سأتبعك اينما ذهبت • سنلتقي هناك •

ـ لا لن اراك •

(انني أدمر عاطفتها • لهذا تقذفني خارجها) •

ـ ستكون أياما جديدة لنا •

ـ سأفر اذا تبعتني لن أدعك تراني •

ـ يا صغيرتي المجنونة •

انها تذهب دون ان تبتسم ، كي تؤكد عزمها •

كان الهواء اللافح يتدفق من الشباك المواربة : دفعت الشباك بقدمي واغلقته •

هذا الهواء الخانق يمتد السيدة في ذهني الى اجزاء منتفخة ثم يغيبها •

السيدة لقد ترسبت في الرأس وأصبحت مرآة من الداخل تلوح للعينين بأنفها الدقيق وعينيها السوداوين التركيتين •

ـ كيف تعوم هذه التفصيلات اللعينة منفردة عن السيدة التي مضت ؟ انها احداث منسية •

www.alkottob.com

السيدة • انني اعشقها بتوجس •

انني اطفو الآن في ذاكرتي • تغيب السيدة (في تلك اللحظة لم اتذكر ان السيدة كانت موجودة) ان قلقي يكمن هنا : لماذا أخشى منح عاطفتي تماما لامرأة ما وبمسؤولية تامة ؟

ان القلق يغلق نفسه بعد انتهاء العلاقة •

السيدة انها تبتعث وجودها من عدم الغرفة وتجلس الى جانب السرير • فأمد يدي : المس كتفها وجانب بطنها ، وبطن فخذها ويعوم جسدي في حرارته فأغلق عيني واطرد السيدة بدفعات غاضبة محتدة •• ويغيب جسدها جزءا جزءا •• الا انها تبقى مع ذلك في الغرفة فارضة وجودها على ارادتي الرخوة • وتبقى السيدة الطافية تحضر وتغيب بتصميم كسول بطيء • انني انخلع من جسدي متصغرا في قمة رأسي وارقب ذلك الشيء الذي تركني ليحيا مع السيدة بوجود تائق وغزير •

ـ انه سعيد منفصل عن العالم •

لكنني مخنوق بألمي وجسدي يتحطم •

انني مدين لك ، فقد علمتني اشياء كثيرة كنت اكتشفها بدون ان احسمها • واحيانا يملأني الندم لانني تركتك ترحلين غير أن قلع الالم في زمن محدد أجدى من تركه ينتشر في الجسم الى الابد •

الزمن يتركني •

انني اتدلى في صحراء جافة محرقة بالشمس القذرة • (لكي أنجو أو أحافظ على توازني علي ان أفر دائما من المكان الذي يعتاد) •

نهضت واتجهت مسرعا الى غرفة صديقي • كان راقدا في سريره يقرأ كتابا •

رقدت على السرير الاخر في الغرفة : سألني بصوته المتعب اللامبالي :

ـ كيف هي السيدة ؟

(نظرت الى وجه السيدة ولم أجرؤ على لمس يدها: أصبحت علاقتنا الان واضحة) •

ـ نحن نقول النساء متشابهات • ثم نستثني واحدة دائما •

تقلص جسده النحيف الطويل وجلس فوق الفراش •

ـ يمكنك ان تركن الى فتاة واحدة ؟ الم تقل اننا نحتاج الى اكثر من عاطفة الى عدة فتيات لنفقد عاطفتنا كلها •

هنا تكمن حقيقة هربنا من الفتاة الواحدة • وعدم التورط في علاقة نهائية معها • قلت :

ـ عاطفتنا ليست كبيرة بل صغيرة جدا الى حد نشك في وجودها لذا نحتاج الى عدة فتيات ليؤكدنها

www.alkottob.com

ان العاطفة عندما تؤكد وجودها تكشف نفسها وتقبل التملك ·

ـ نحن بحاجة الى عواطف تنقذنا من تاريخنا الدموي ·

(كانت السيدة قد ذكرت في مرة سابقة انها لم تعد تعرف كيف تواجه حاضرها ومستقبلها وانها يائسة من وضعها ولا تستطيع البقاء متوازنة في وضع اجتماعي وسياسي يناقض تكوينها ويحاصرها

كانت تتوقع ـ ربما ـ ان اتزوجها ، لكني كنت مبعدا الزواج عن رأسي · وكنت أؤجل مباهجي وحياتي الى حين خروجي من البلاد · وراقتني فكرة ان نرحل معا واتزوجها هناك، لكني لم أقل لها ذلك ·

كان يأسي من ضرورة أفعالي قد خفف حماستي ورجائي ·

لذا لم أدع عواطفي تلتهب وتلحقها ·

كنت أحس بالطمأنينة المطلقة عندما اكون بجانب السيدة · فهي مليئة بالحماسة والامل · كنت اتيقن انها تشبع عمقا بعيدا معتازا في داخلي) ·

كنا جالسين ذات امسية في مقهى · قالت :

ـ ان ما نفقده لا يعود · لكن ينبغي ألا نفقد كل كل شيء ·

ـ اننا خارج الاحداث ·

وبغتتني · وضربتني على كتفي ضربة رقيقة ·

ـ انني اعرف يأسك ·

كنت أحاول تيقينها من يأسي ، ومن ثم اسحبها الى يأس مماثل يفضي بها الى عبثية تقارب عبثيتي ·

ـ لا جدوى من التغيير · ان جدليتنا تجعلنا خارج الاشياء ·

ـ أقوى ! أقوى !

مطت الكلمات بفمها استهزاء ·

كنت أود لو احيطها وأقبلها وأقول لها ايتها الصغيرة دعي عنك هذه الحماسات الخاطئة ·

ـ لسنا اغبياء يا صغيرتي · لقد تجاوزنا زمن اغماض العينين والاندفاع الى الهاوية · ان العديد من الاغلاط نرتكبها بحماسة ازاء اقتناعات متمايلة

انها لا تفقد املها في الامكانيات المجهولة ·

وانتبهت الى انني اخوض معها طريقا خطرا في الحديث · ان قناعة المرأة جذرية · وعلي ان ابعد هذا الحديث بحديث آخر لكي لا أجعل التناقض يبدو ·

نظرت الى وجهها الوادع بشغف ·

(الام ستمضي علاقتنا ؟ كان هذا التخوف ينتزع احلامي جميعها وكنت أطيح به كلما تبادر ، وكان رعبي يتأهب لسماعه من الفتاة نفسها) ·

www.alkottob.com

ـ في النهاية تكتشف انه لم يتبق لنا شيء • ولم يكن لنا شيء • ان هذه النتيجة تفرغ حماستنا وفرحنا وحاضرنا • وان الشيء الوحيد الذي نحتفظ به في هذا العالم هو تقاؤنا وصفاؤنا

(اية حيلة مفضوحة نبرر بها هامشيتنا) •

ـ لا يبعث الامل سوى النضال •

كنت أتوقع ان تلقي علي درسا في وجوب النضال فعاجلتها بسؤال موفق •

ـ اعتقد انك تأخرت في العودة •

نظرت في ساعتها ثم نهضنا ومشينا بمهل •

ـ لا ادري لم اخترتك انت من بين كل اولئك الرجال • حقا • تساءلت (لم آختارتني ؟) •

(انه بؤس مغلق لها ان تختارني انا) •

وأحسست بتذالتي تطعنني بسمها فكيف لا أنقذ هذه المرأة العظيمة •

كنت أحس بالقنوط حين افكر بالزواج حين افكر بالزواج وكان عذابي يتوسع •

(لم تذكر لي تسلط حبها لي ، بل سمعت عنه ما ملأني فخرا) •

هل يمكن ان تنفها ونغرب عن بعضنا ؟

واحسست ان وهمي سيتبدد • وانني سألقى من جديد خارج العالم فامتزجت رغباتي مع قنوطي في القبول • قلت لها لاقنعها بوضع لا يفقد طمأنينتي وحضوري الدائم لديها :

ـ من الخير الا نفقد الامل • وسيحدد المستقبل شكله فيما بعد •

ـ انك تلقي نفسك في الوهم • عليك ان تدرك حاضرك لتكتشف مستقبلك •

انني امقت اللغات التبشيرية ، ايتها السيدة ، لكنني أصمت على مضض • ماذا يجدي تنويرك في كل شيء • ان معارضتي لكل ما لا يوافقني مع امرأة سيبديتي في النهاية كتلة محشوة بالكلمات لا غير •

ان رجلا يظهر من اتجاه ، وتظهر امرأة من اتجاه آخر ، فيلتقيان فجأة ، دون ان يكون تاريخهما متهيأ لهما ذلك • ويشعران انهما يجب ان يرتبطا • ويبدأ تاريخ موحد يسوقهما وينفي تاريخيهما المنفردين •

لقد كان تاريخي معزولا • أو هذا ما كنت الح على تصوره ويبدو لي كأنه حقيقة وسط الخراب الذي كنت أعيشه وكنت موقنا ان انفرادي كان اختياريا رغم احساسي بعبئه وضرورة تبديله •

واذكر ما حدث بعد توثق المعرفة بيننا • انني انتشيت وانا امارس لعبة اغرائها ، لقد كانت تنفتح

www.alkottob.com

لي انفتاحا كاملا ، واخذت ارقب احتواءهـا لي • كنت مسرورا اذ كشفت لي حقائق كنـت اشك بوجودها في اعادة علاقاتي مع العالم بعـد ان كنت مقررا ان عبثا مطلقا يحتوي كل فعل نمارسه او نتلقى به فعلا من الخارج •

كانت الحماسة التـي تواجهني بها السيدة تهز يأسي المتعمد • وتوقظني على اسئلة حاسمة •

ـ انك تقول ان العالم باطل • لأوافقك • مـن خلال شروطه التي تعيشها هنا • الا يتبدل العالم في شروط أخرى • أليست شروطه مختلفـة في مكان آخر ؟ • قد يكون • لكني لا استطيع رؤيته بكله من هنا الا من خلال شروطه الحالية التي أعيشها •

ـ عليك ان تنسف حياتك •

ـ هذا ما لا استطيعه • انني محكوم • ولذلك انتظر ان تبدل الشروط نفسها لكي اتبدل •

امسكتني من ذراعي واحسست بنشوة خائفـة •

ـ لم لا تساهم انت بالتغيير • ان كل تغيير يجيء من خارجك يبقيك في الوهم •

نظرت الى انفها الدقيق وعينيهـا السوداوين وساقيها البديعتين • واحسست ان قنوطي يدفعنـي للاستخفاف من حماستها فصمت •

ان عجز الارادة يدفع للتبرير • وانـي ابعد مساهماتي وافترض ادوارا مستحيلة تجعلني اعيش في وهمها زمنا غير محدد •

ملأتني الحماسة وانا أرى السيدة تتحرك نحوي دائما • ان وجودها يخلص وجودي • كان اهتمامها بي وبأفعالي ومشاريعي محيرا لي • اذ كنت أنـا شخصيا لا اهتم بها مثلها • وخشيت من ذلك الاهتمام فلم أعتد ان اهتم بمسائلي ولا ان يهتم بها شخص آخر وكنت أقبل اوضاعي الحياتية كما توجد ولا افكر بمستقبلها ولا اسعى الى تبديلها . وان كنت اشعر بالسخط دائما عليها و (اقـرر) ضرورة تغييرها •

ـ لقد أصبحت تمثالها •

وسخرت من تفكيري الذي التوى واحال الاخلاص الى استعمال •

ان انطباعاتي تتناقض •

(كان قميص السيدة مفتوحا من الاعلى وكان بامكاني رؤية استدارة ثدييها واحسست برغبـة لان ادخل يدي وامسهما : ولم اجرؤ) •

وتبدل صوتها : اصبح عميقا مرتجفا •

ـ سنذهب سوية •

www.alkottob.com

سألتها بخبث وأنا أدرك ما تقصده ·

ـ الى اين تذهب ؟

واشارت عيناها البراقتان الى مكان نذهب اليه

واجبتها بتواطؤ :

ـ سنذهب · سنذهب ·

وفكرت بالحرارة التي ملأتني فضغطت اظافري في راحة يدي لأتماسك · كانت الحرارة تغمر المدينة والطرق خالية من السيارات تقريبا · كنا واقفين تحت مظلة السيارات العمومية · قلت لها :

ـ لنذهب الى مرسم صديقي · انه هنا قريب ·

واشرت الى نهاية الشارع المقابل · وضغطت المفتاح في جيبي متمثلا انفرادنا ·

ـ هل صديقك هناك ؟

غزتني برودة · لم أكن قد فكرت بأقامة علاقة جنسية معها اذ كانت علاقاتي في حدود العاطفة المجردة ·

رطبت الطعم المر الذي صعد الى حلقي · مازحتها :

هيا ·

فضحكت بسرور منتشية وانوثتها تدعو بلهفة (انها تخشى ان يراها) ·

قلت لها مطمئنا :

ـ كلا · انه ليس هنا ·

أبعدت رأسها وقالت بغضب :

ـ لم تريد أخذي الى هناك ؟ ·

فوجئت بقرارها المضاد · لقد دفعتني هي الى دعوتها · وكانت رغبتها جائشة · الا انها تستوقفني الآن وتلومني على دعوتها :

ـ كيف تريدني ان ادخل المرسم وليس فيه أحد · انكم لا تختلفون ·

وأحسست باهانة وضعي في تعميمها · وخفت من نتائج رفضها المفاجيء · ربما أحست بذنبها · أو تكون رغبة المرأة في التعذيب قبل الحب ·

ـ انني اتركك · وداعا ·

قلت لها :

ـ انتظري · ماذا حدث ؟

ـ كيف سول لك دعوتي الى هناك ·

انها تمثيلية سخيفة · لكن لن اخرج منها برغمي فكذبت عليها وكانت تعلم انه تبرير ساذج :

ـ كنت افضل ان نجلس عنده قليلا · انه موجود هناك ·

ـ كلا · انه ليس هناك ·

www.alkottob.com

وأقسمت لها انه هناك • وطبعا لم يكن موجودا في مرسمه • وكانت تعرف ذلك •

وتأملت اضطرابي الحرج وحاولت ادراك ما تفكر به •

الا ان المفاجأة افسدت علي التفكير •

لم أقل لها انهاهي التي دعتني وهي التي وضعتني في المفاجأة • ولم أعد أعرف ما أجيب به •

(انها تترك تفكيرها يتوالى بغضبه • ولم أستطع الجزم انها تختبرني : انني ابدو لها غرا معدوم التجربة ، لا يعرف كيف يخدع الفتيات بل كل ما يطمح له أماله عواطفهن نحوه • واحسست بمرارة من سلوكها ، وانفصالا يقضي على الحماسات التي بثتها في داخلي) •

السيدة تستيقظ من غفلتها ووهمها وترى الفراغ يحيق بها • ربما لا تريد تلويث علاقات القلب فالجنس يخلق أبدانا قرفة من بعضها وعواطف مستحيلة التواصل • وفسرت لماذا ثارت وهي التي دعتني الى جسدها • لكن ايتها السيدة • العواطف كامنة في الجسد في هواء خارجه لقد نبهتني السيدة الى ضرورة الجسد بدعواتها المتكررة • لكنها رفضت الاذعان في لحظة التحقيق • وثارت علي لانني سأخرجها من طقوسها التي كرست لها وضعها •

واكتشفت ان علاقتنا العظيمة انقلبت الى لعبة يخفق أحدنا في المضي الى نهايتها •

سالتني السيدة :

ـ هل تحبني ؟

انتابتني قوة مفاجئة فكذبت بمهل :

ـ نعم •

ثم انهار تماسكي • لماذا اكذب عليها ؟ لكنها أحست ببرودة صوتي • فهتفت بيأس •

ـ سأسافر •

شعرت بفرح صامت لقرارها • فدفعتها لتوثيقه وتصميمه :

ـ انه خلاصك الحقيقي •

ووضعت أمامها بتصميم وغد ، كافة الامكانيات اليائسة التي تشدها بالارض والبشر • وكشفت لها بمواربة خبيثة انني ذلك الرجل الذي لا يعتمد عليه ولا يمكنه تقرير اي خلاص لانسان آخر • لذلك لم افاجأ حين اعلنت لي انها سترحل • وطلبت منها ان تدون لي عنوانها لاكتب اليها الى ان يمكنني اللحاق بها :

ـ لن تجدني •

www.alkottob.com

قالت لي صديقتها :

ـ سافرت اليوم • ذهبت الى المطار لتوديعها وكان آخر ما قالته لي ان أبلغك تحياتها وحبها •

كنت وحيدا • فأحسست بمكانها الفارغ وبوجودها الخفي يلامسني ويدخل الى اعصابي ودمي •

وأحسست بحزن حقيقي يغزوني ببطء • وبتلك الراحة المموهة التي شعرت بها بعد تخلصي منها تحال الى تعذيب لخياناتي ومواقفي الوائغة المدلسه •

اننا نعيش بفظاظة حياة ناقصة متوحشة بزيفها اللائق • فتيات • فتيات • انهن اليأس الذي ينساق اليه اولئك الرجال الذين فقدوا شيئا من تماسكهم وتنظيمهم •

لقد عاد وجود السيدة يحثني على التماسك •

انني لم أعد أصلح لشيء ايتها العظيمة • لم أعد عندما كنت فتيا • كانت تهزني بطولات مهووسة وآمال عميقة • لكني الان بعيد عن كل شيء •

ايتها السيدة • ايتها السيدة • لا تبتعدي • اني أعبدك • السيدة تفر من ذهني • لم استطع ايقافها واعود الى وحدتي التي اريد الخروج منها •

انني لا انتمي الى اي شيء • متحرر من وجودي

الصفاء يتوفر لي • لكنه يفقدني الحركة ويسجنني في السكون السيدة • آه لو كنت هنا . لتبدلت • لقد كنت اجدد انتمائي • لكنك تركتني معلقا • كنت قد هززت رقادي الطويل • معادلة :

اذا اتجهت العواطف احاديا فجميع العلاقات الاتية ستفرغ من صميمتها • وتصبح الذاكرة آلة لترقيم الفتيات •

كانت حركاتنا محددة ومعلومة تكشف نهايتها مسبقا • ايتها السيدة • انني اكتشف افعالي المدمرة وفي اي كهوف خالية تمضي الى مجاهيل مبتذلة • انني اختنق ••• اختنق •••

لوح ساعي البريد برسالة أمام عيني • ثم وضعها على الطاولة •

(رسالة من الجبهة)

قفزت يدي عليها • قرأتها بعجلة وأعدتها ببطء:

ـ وصل الى خلاصة •

السيدة انبثقت كلية بقميصها وتنورتها الابيضين ونقتني من الاشياء • انها صامتة • تستجوبني بعينيها النفاذتين •

اتغمرت بالسيدة •••

(هل صحيح ما كتبه ؟ لا ادري •• ربما غلبته

www.alkottob.com

حماسة خلاصة • لكنه وضع جديد لم يمر بنا • لو كان مشابها لوضع معلوم لاستطعت كشفه وتقديره)

لقد هبت في الحماسة • واضيء ارتقابي الممل لعالم جديد •

ـ سأذهب وسأعرف كل شيء •

ادخلت الرسالة المطوية في جيبي •

حلم يقفز من اغوار سحيقة ليصيب فكرتنا : من كوبا والهند الصينية وافريقيا وامريكا الجنوبية : هذا العالم يرتبط ويظهر دفعة واحدة يتحرك نحونا •

بدأت اتحرك نحو مكتب المنظمة في مدينتنا •

قلت للرجل الذي ظهر من بين قامات الشباب •

ـ وصلت منه رسالة •

كان المسؤول فتيا يميل شعره الى الصفرة • اشار الي فجلست • وانسحب الرجال الى غرف وممرات جانبية •

ـ اردت معرفة مكانه ؟ •

ـ انه في عمان •

ـ ماذا يفعل هناك ؟ •

ـ نسب الى الجهاز الاعلامي •

ـ ظننت انه في القواعد مع المقاتلين ••

ـ ليس شرطا ان يقاتل • كل يؤدي دوره في الثورة •

ـ وماذا يقدم في الجهاز الاعلامي ؟ سألت بريبة خافتة •

كان الشاب يقرأ جردا حسابيا • لم يجب •

كانت الكلمات الآتية منه تدوخني باحلام جديدة (انهم رائعون • حياة مغامرة لا تقفل) •

حدقت بوجه الفتى المنحني وقلت •

ـ اطلب الالتحاق •

رفع وجهه ليحدد جدية كلامي فأكدت :

ـ ينبغي ان اذهب الى الجبهة •

ـ اذا كنت مصمما ، سندبر لك ذلك •

قلت في لهفة : متى ؟

أجاب : متى شئت •

اللهفة الغامضة تترسخ في تصميمي وتجعلني انتشي واغيب من مكاني •

ـ لطالما حلمنا بخلاصنا • اننا نحققه •

كانت المدينة منفصلة عني • لم أعد اشعر

www.alkottob.com

بثقلها • وتلك العلاقات التي طالما جعلتها مخففة ، لتأجيلي حياتي ، نفضتها جميعا ، مرة واحـــدة ، وشعرت بارتياح لكوني تحررت من ارتباطات كنت مقسورا على اقامتها • الدائرة تتوضح بعد خروجي منها • ان اللعبة ستستمر ، والذين بداخلها يدفعون صراعاتهم الصامتة وغيابهم غـــير المحسوس • ان اللعبة لا تنتهي ••• لكنهم لا يملكون ما يؤكدون به وجودهم الا الصراع • اذن فلعبتهـــم لن تنتهي وسيضطر كل طرف الى اسقاط الاخر باستمـــرار داخل الدائرة ، ولن يتاح لهم ان يخرجوا منها الى الحرية والحب •

ــ انها حياة دامية بليدة • فالرغبات المحاذرة في الحياة ستنقلنا الى الفراغ حيث نطفو بلا أفعال ولا مستقبل ولا ثورة • وطالما كان الانسان صفرا ليس له وجود ، فكل شيء باطل •

السيدة • انهم يطاردونها في الطرقات • انهـا تعرف ما سيصيبها لو امسكوا بها • آه ايتها السيدة لو نقف معا وانقذك منهم • سأنسفهم جميعا •

لكن السيدة تطير وتنعم بسلامتها في مدينة اخرى بعيدة •

ــ سنزودك برسالة وتسافر • انهم يعتمدون على ثقتنا بك •

كان المكتب هادئا وباردا •

(يجب ان تأتي) •

لقد خلفتنا الصراعات وحيدين ، لا نؤمن بالماضي ولا بأية رابطة للقناعات • لذا كانت دعوتنا للرحيل •

الحرية تغري •

تركت المكتب هارعا بلهفة •

ــ سأترك هذا المكان المسمم • سأذهب الى الجبهة كنت فرحا انتقل من مكان الى آخر • وتذكرت الشركة التي اعمل فيها • ان ارتياحي يتضاعف عندما سأترك وظيفتي ، تلك الوظيفة القذرة التي ارغمت عليها لاتدبر مصروفاتي • سأتخلص من نظام مدمر يقنن افعالي وأيامي ، وينهي حريتي •

رفعت حقيبتي المغطاة بالغبار • ومسحتها بتأن • ثم وضعتها بهدوء فوق كرسي •

كان مسؤول المكتب يضرب على الآلة الطابعة اسما مستعارا لي • أخرج البطاقة الخضراء ثم الصق صورتي عليها • كنت أحدق من فوق كتفه الى الورقة التي وقعها ثم دفعها نحوي • تأملتهـــا من جديـــد وأمسكتها بحذر •

www.alkottob.com

ـ انني أعلن وجودي في الثورة باسم مستعار ٠

وضعت الورقة في جيبي مع رسالة ، أكد علي ان اسلمها الى رجل بالذات في عمان ٠

كانت السيارة الضخمة متهيئة ٠ رفعت حقيبتي فوق المسند العلوي ٠

ـ أصبحت المدينة منفصلة عني تماما ولا يربطني بها سوى هيكل السيارة الخارجي الذي يتخطى الارض ٠ ان وطنا جديدا ، سينتقل معي ٠ ان ارضي هي قدمي ٠

كانت فتاة صغيرة تبكي ازاء السيارة ٠ رجعت نظري من الخارج وحدقت لاتكهن من هو المسافر الذي تبكي من أجله تلك الفتاة ٠ كان الجميع يحدقون فيها ويحنون لعواطف مفتقدة ٠ وعندما تحركت السيارة اخذ شاب يجلس أمامي مباشرة يلوح لها ٠ وكانت تلوح له من بين دموعها ٠

ـ سيعود اليك ايتها الفتاة ! سيعود يوما ٠ ولكن نحن من سينتظرنا ، ونكن له عواطف حقيقية ؟ ٠

كانت السيارة تقطع الشوارع المفضية الى خارج المدينة ٠ وكنت أحدق في الاشياء بنظرة أخيرة لا مبالية ٠

كان الطريق يمضي في الصحراء والشمس المدمرة تضمحل وتغوص في نهاية الارض السمراء، والهدوء

الذي يبعثه الامتداد المهمل يدفع تصوراتي للاحتداد ٠ المدينة انها تعود ٠

كنت محاصرا في غرفة ما ٠ وشعرت بانني يجب ان اخرج من جسدي والا انفجرت ٠ فتحت الباب وخرجت راكضا ٠ ركضت بجانب النهر ورأيت قاربا مربوطا بجذع شجرة ٠ قطعت الحبل وتركت القارب يتمايل بي ٠ صرخ رجل واقف على الشاطىء ٠٠

ـ زورقي ٠٠ اين تذهب به ؟

مرت بطة نهرية بيضاء من جهتي الثانية ٠ لم أدفع رأسي نحوه ٠ استدرت وكان يخلع ملابسه ويقذف جسده تجاهي ٠ جذفت الى الجانب الاخر ٠٠ تركت القارب على الشاطىء وهبطت راكضا ٠

(مدينة بديعة للغاية! يحاربون فيها بافواههم!)

لقد مضت المدينة واصبحت بعيدة جدا وملامحها بدأت تتلاشى من ذاكرتي خلا أشباح غير محددة تطفو من وجوده ان هذه الصحراء التي يعبرها ظل السيارة تؤكد خروجي ٠ نظرت يتماس الى الخارج وكان الظلام يغطي الصحراء ٠ حاولت الا افكر بشيء الا ان حماستي كانت توقظني (سأجده في

www.alkottob.com

عمان • سيتفاجأ بمجيئي) وتمثلت اللقاء العاطفي بيننا •

ولاحت اضواء بعيدة في افق الصحراء •

هتف رجل من مقدمة السيارة :

ـ وصلنا الحدود الاردنية

سألت شرطيا بدويا مشيرا الى اوراقنا

ـ أين نختمها ؟

أومأ الى كوخ صفيحي مضاء :

ـ هناك •

كانت الريح الباردة توقظ جسدي المحتـــر •

ووقفت وسط الطريق الهادىء اتنفس عميقا •

يا وطن

عندما يغيب الاسم • أو تولد الهيئة لاول مرة بينهم سيكون الاسم : وطن •

متبعة من ضوء ، سرية ، مرميه بعيدا ، عـــلى ارض ملتوية سوداء ، تلوح •

ارض صحراء دموية في السهل • حزمة هائلة من ضوء مساكن ••

تقل مدفعه الرشاش الصغير واسنده الى الارض •

ـ لا أحد • لم يحضر بعد •

لم أر لون الارض هناك • كانت الارض تنتهي عند الحواجز ويصبح لونها هواء •

(يتكدس العالم جميعه في أي فعل حقيقي) •

امرأتان وصبية تمزق اطرافهم العليـــا خارج النافذة المطلة على الطريق • بيانات وصور قتلى معلقة على الحائط • غابت الاطراف العليا واصبحت الفجوة المنورة ساكنة • : الفراغ ثابت • والاطراف العليا تتحرك من البداية الى النهاية وتعود من جديد

مد (الوطن) رأسه وحدق نحوي دون تحديد ثم عاد الى الباب الامامي •

نهضت • وضعت ذراعي على حافة النافذة وكان مطر خفيف ينسحق على الارض • والفجر الشتائي يمر خارج الدار ببرده المثلج • توقفت سيارة صغيرة قرب الباب • وهبط رجل •• فعدت الى كرسيي • كانت الخطوات الثقيلة تقترب من الغرفة •

دخل الرجل والحارس فأخرجت الرسالة • قرأها وأشار بود •

ـ نحن نرحب بك معنا •

التصق كرسيانا •

(قبعة من ضوء ، سرية ، بعيدة : الهواء الاسود الثلجي يتسرب داخل السيارة المنطلقة) •

www.alkottob.com

امتلأت الممرات والغرف خلال دقائق معدودات برجال ناعسين ٠

سألني :

ــ هل انت متعب ؟

نفيت ٠ فقال لي :

ــ هل تأتي معي ؟ سأزور القواعد ٠

(مددت لها يدي فنظرت ٠ ولم ترفع يدها فانسحبت بدون حزن) ٠

ــ سنذهب أولا الى ١٢٧ ٠

وتذكرت الطريق المتعرج المحاذي للمدينة حين تطلعت من اعلى المرتفع : ليس هناك انسان واضح ولا بيت مكشوف : أضواء في الهواء ٠

نظرت اليه : هيا ٠

وأجاب : هيا ٠

استدارت السيارة فوق جبال عمان ٠

ــ سنهبط الى الغور ٠

كان الانحدار مستمرا والحرارة التي داهمتنا اضطرتنا الى فتح النوافذ وخلع الجاكتات ٠ كانت الطرق والوديان خالية ٠ اشار الى منزلق بين كتلتين هائلتين من الحجر ٠

ــ انهم يقصفون هنا دائما ٠ ونحن معرضون لمجيء مفاجيء في كل دقيقة ٠

انه يلقي كلماته بتلقائية تتناقض مع الخوف الذي أحسست به (على المخاطر تعويد نفسه على المفاجأة) انبثقت في الاسفل كتل كثيفة من الاشجار الحمضية :

ــ سنصل الى اول قاعدة لنا ٠

انني اندمج في حقيقة محددة ٠

ابتسم الرجل ــ هذه المنازل يسكنها رفاقنا بعدما دمرت سكانها القنابل والطائرات ٠

استدارت السيارة في طريق ترابي واخفاها الرجل تحت غصون شجرة ضخمة ٠

ــ سنذهب الى القاعدة مشيا ٠

قفز الرجل من فجوة بستان وتبعته واتجهنا نحو منزل مخفي ٠

ــ تفرقوا ٠ انها الطائرات ٠

انتشر المقاتلون بين الاشجار ٠ ومرت الطائرتان كغيمتين مزمجرتين تبرقان ٠

همس : أرى من الافضل ان نذهب ٠

كنت أتعجل الدخول في السيارة لئلا تصطادني الطائرة برصاصها ٠

www.alkottob.com

اين هو ؟ ربما أجده في اربد ٠

كان القنوط يلازمني لانني لم التق به عند وصولي ٠ وتلمست الرسالة التي بعثتها اليه خطيبته ٠

كان الظلام يهبط عندما دخلنا الى مناطق عسكرية نظامية واحسست براحة متعبة كئيبة ٠

في اربد ٠

لم أجد صديقي ٠ قال أحدهم : ذهب الى دمشق في عمل عاجل ٠ قلت للقائد ـ لقد ذهب الى دمشق ٠

أجاب ـ لتعد الى عمان ٠

كانت انوار السيارات تفسر الطرقات وتتقاطع بسرعة بين المدن ٠

كانت يقظة شاملة لجسدي وفكري تستيقظ وانا اهبط في شوارع عمان ٠

ـ السيدة تظهر شفافيتها فأنزلق بهدوء وحنين اليها واحس بخطاي اكثر وقعا ورسوخا ٠

ايتها السيدة ٠ انني استطيع الآن التصميم والحسم ٠

القائد والرفاق ٠ انهم يتحركون جميعا وأنا جزء منهم ٠

ـ صديقي كنت اتمثلك مفاجئا بي وانا ادخل

المقر ٠ لكنك لم تكن هناك ٠ لقد سلمتني خطيبتك هذه الرسالة

ـ مسست الرسالة برقة ـ وقالت بحزن ان احثك على الكتابة ٠

صديقي بقامته الطويلة ومشيته المهلة المخدرة يفعل شيئا ما في دمشق ٠

سألت مسؤول التنظيم : ألم يعد ؟

ـ نعم

ـ اين هو ؟

ـ في المستشفى ٠

فر هدوئي وأخذ شيء ما يتفرغ من رأسي :

ـ ماذا حدث له ؟

ـ لا أدري ٠

بتر تصوراتي القلقة بجموده ٠

ثم اوقفني أمام باب وفتحه ببطء ٠ كان صديقي راقدا وبجانبه ممرضه :

ـ ماذا حدث له ؟

ـ اصابته شظية قطعت ساقه ٠

كانت الساق ملفوفة وبارزة تحت الغطاء

www.alkottob.com

لبثت صامتا محدقا الى وجهه المخدر • انساب صوت خلفي :

ـ كانت الطائرات تضرب سيارات المواطنين على الطريق فتوقفوا ليختبئوا فاصابته شظية • القنابل لا تميز •

جلست بجانب صديقي •

(سيارة تطير في الهواء منفتحة على اجساد محترقة ممزقة • تسير ثم تهبط في الوادي وتحترق ساق مبتورة محتفظة بحذائها على جانب الطريق العام • طائرة صغيرة لامعة ترمي سلسلة من القنابل بل والرصاص على فقراء مهاجرين • موتى موتى محترقون على الطرقات • انهم لا يكفون عن القتل) •

ـ ساق مقطوعة • ممرضة •

(وجه اصفر مخدر • صديقي نائم لا يعلم انني قربه • انه لن ينهض لعناقي • خطيبته تسلمني رسالة • انها تنتظره • تحلم ان يعود اليها يوما • غبار يهب في طرقات مدينة مدمرة • اصوات تدعو وتدعو • خطابات • اعتذارات عن الثورة • شبان صغار يكمنون في مخابئهم • الفتاة المشتاقة سأرسل اليها الساق •

كلا • كلا • انها ستمد يدها وتلمسها • ستصرخ وتوقظ صديقي • صديقي الراقد في المستشفى بساق

واحدة • أصابعي تتشنج • صمت • ضجة • لا شيء رجال يحملون أنفسهم ذنوبا لم يقترفوها كأن سيقانهم جميعا قطعت • السيدة تبكي • من اخبرك ايتها السيدة • انك ترين ساقي وقد قطعت • كيف ستتفاجأ به أمه وأختاه عندما يقرع الباب وعكازته في يده) •

ـ انت هنا •

اخرجني الصوت من جسدي • كان التائد واقفا قرب الباب •

ـ نحن جميعا بحاجة الى من يخفف عنا •

ـ لكنه بساق واحدة •

فتح صديقي عينيه وتصلب وجهه عندما رآني ثم ابتسم • جلست بجانبه احدق فيه بألم • سألني بمرح •

ـ أتيت أخيرا •

ابتسمت وانا مرتبك • ثم فاجأني :

ـ سنعمل سوية •

كان وجهه جادا ومصمما فوق السرير الابيض •

www.alkottob.com

ـ البنـادق ـ

ـ تستطيع الآن ان تتحرك • بـــل وان تمشي قليلا • ارتخى جسد الرجل فوق السرير ، ونظرت اليه الممرضة بعبوس :

ـ سنسمح لك بالمشي • ولكن داخل الغرفة فقط!

وضحكت وهي تنظر الى الطبيب العسكري •

انه يشعر بالمرأة خلف قناع الممرضة المعادية • انها تبدي جفاءها كلما التقت عيناه بعينيها • لقد تعود عليها وهي تعوده منذ شهر : منذ أسره • أراد ان يعبر لها عن امتنانه ولكنه يصطدم بتقاطيعهـا الصارمة • عندما خرج الطبيب العسكري تقدمت منه وسوت فراشه • رفع يده وحطهـــا على يدهـا وأمسكها برفق • سحبت يدها بعنف وبخته • أعاد يده بحزن ووضعها الى جانبه وتمتم معتذرا •

وتكرر دخولها عليه لعيادته وكانت تلين يومـا بعد آخر وهو يتكىء على يدها ويخطو في الغرفة •

وعندما ضغط على يدها وهي تعيده الى السرير لم تسحب يدها وتركته الى ان فك اصابعه •

انبأته : انتهى علاجك •

وتذكر لجان التحقيق الكثيرة التي زارته • حدق في وجهها ودفع الباب • امسكها من كتفيها وقبلها • واحس بحرارتها وهي تحتضنه •

ابتعدا عندما سمعا خطوات قرب الباب • وظـهر ثلاثـة جنود • قال آمرهم بخشونة : هيا •

تساءل الرجل ـ الى اين ؟ •

أجابه :

ـ الى السجن • هل تريد المكوث هنا الى الابد ؟ •

أدارت الممرضة ظهرها • وأحس الرجل عندما اقتيد أنها كانت ترتعد •

www.alkottob.com

الجدران

ضربته ريح الليل • ارتجف وهو في مكمنه • كانت القرية العربية كتلا منحنية في الظـــلام • وكـان معزولا فوقها •

ــ كادت القرية تتحرر •

ازداد ارتجافه في الريح القارصـــة • خشـــي ان يموت من البرد • وكانت ثمة اشباح تترصد في مفارق الطرقات •

زحف فوق المنحدر ملتصقا بالارض واصبح قرب وسط القرية • كانت الاصوات العبرية تمر بين فترة واخرى في الصمت الشامل •

ادرك الرجل انه محاصر ولن يستطيع النجـاة اذا اكتشف • لم يعد يشعر بالخوف • استمـــر في زحفه واستدار خلف بيت قديم وانسحت عبر الباب • وكانت دورية معادية ترن خطواتها قرب الجدران • • (انا وقدري) همس الرجل وقرع البـــاب بخفوت واستمر يقرع • سأل صوت محاذر ــ من ؟ •

أجاب الرجل بهمس ــ افتحوا الباب • أنا صديق •

ثم نهض على ركبتيه وولج الى الداخل •

سأله صاحب المنزل •

ــ من أنت ؟

ــ هل ينفذ الضوء الى الخارج ؟

ــ كلا •

اضاء الرجل عود ثقـــاب • ورأى الرجـلان بعضهما • وانطفأ عود الثقاب •

قال الرجل ــ كنا مجموعة في مهمة خاصة • وعدت وحدي •

سأختبىء هنا فترة قصيرة • ان قواتنا ستحـرر القرية • اجلس الزائر الليلي على كرسي ، وناوله رجل الداخل رغيفا وجبنا ثم قال :

ــ لو اكتشفت ، سنموت كلانا •

أجابه الثاني ــ أعرف ذلك •

زحف صوت نسائي :

ــ من معك ؟

أجابها الرجل

ــ هس ، ثم زحف اليها •

www.alkottob.com

بدأت معالم الفجر تضيء معالم القرية ، وكان الرجل غافيا على كرسيه ، وعندما سمع أصوات صاحب المنزل استيقظ وتناولا الفطور ، وكانت المرأة تختلس النظر اليه .

قال صاحب المنزل :

ـ لو حدث شيء . اختبيء هنا .

وأشار الى غرفة مليئة بركام من البراميل والقناني والغرارات :

ـ أقفل الباب وراءك وافتح الباب المؤدي الى الخارج ، وقل انك تسللت دون علم أحد واختبأت .

قال المحارب :

ـ لن اعرضك لخطر .

ابتسم صاحب المنزل برضا وحذر زوجته من الاشارة الى الرجل . مع الجارات .

راقب الرجل ، من خلف الستارة ، الجنود الاعداء وهم يمرون في القرية .

عاد صاحب المنزل ظهرا وقال :

ـ انهم يتحدثون عن ايقاف اطلاق النار . يقولون سيتوقف الليلة في الساعة الثامنة .

كانت اصوات القذائف تشتد وتتكاثر . ابتسم المحارب :

ـ انهم يقتربون لن يتوقف القتال .

انقطع جري الاعداء في القرية وأقفر الطريق . وتسللت بعض النسوة بجانب الحيطان وهن يحملن ارغفة خبز وحزما صغيرة من الخضراوات .

فجأة طرق الباب . نظر الرجلان سوية تجاهه ثم التقت عيناهما . قفز المحارب الى الغرفة الصغيرة واغلق بابها . وسمع المحارب رجلا يتحدث بسرعة عن ايقاف اطلاق النار . وصوت اغلاق الباب . همس صاحب المنزل ـ انه جاري .

قال المحارب :

ـ انها خدعة .. لن تتوقف الحرب .

في الموعد المحدد لم تطلق قذيفة .

في اليوم الثاني اطلقت قذائف قليلة . لكنها ليست قذائف حرب .

وعندما حل الليل ، قال المحارب :

ـ لم تتحرر القرية . لقد حوصرت .

أجابه صاحب المنزل :

ـ لا عليك . امكث هنا ما دمت حيا . لم يدم احتلال الى الابد .

www.alkottob.com

نظر المحارب بحزن الى البيوت التي انطوت في الظلام • في منتصف الليل ، سمع صاحب المنزل صوت انفتاح الباب واغلاقه • قفز من فراشه وتقدم بحذر الى فراش المحارب • كان خاليا • فتح ستارة النافذة وحدق في الظلام •

كان المحارب يزحف في الليل ويصعد السفح • ظل يتابعه بنظره الى ان اختفى في شعاب الجبل •

ـ الرصيف ـ

كانت الغرفة نظيفة وخالية ، لها باب رفيع ينحشر فيه الداخل ليتمكن من العبور ، وكان رجلان اولهما يحمل عصا ، والثاني يشرنح وكأن يدا خفية ترفعه وتمنعه من السقوط قال الاول ـ سنبدأ من جديد • دوما نبدأ من جديد • ويبدو اننا لن ننتهي هه؟

ـ الثاني لا يجيب ـ

الاول ـ افتح هاتين الشفتين • اعلن صوتا واحدا !

ـ ينتقل الى مقدمة الغرفة ثم يعود الى مكانه ـ :

ـ ماذا تجد في الصمت ؟

ـ الثاني لا يجيب ـ •

الاول ـ لن يكسرني صمتك • ليس الصمت دائما قوة المغلوب • (يتوقف ويقول بسخرية) : مغلوب!

ـ يمسه بالعصا ـ :

www.alkottob.com

ـ كلمة واحدة من فضلك !

ـ صمت ـ

الاول ـ لن تتكلم • هاه •؟ سأحولك الى تيار من الكلام • (متحدثا مع نفسه : سؤال صغير ينزلق الى ذلك المكان السري الذي تختبيء فيه المعلومات ، ويرفع الحاجز فتنحدر الاجوبة متدافقة • جواب السؤال الاول هو المفتاح الاساسي • ثم تبقى اضاءات صغيرة تنكشف تلقائيا • ان قيمته تكمن بالمعلومات التي ستظهر حتما • ستحل المعلومات في الاوراق وتختفي قيمته) • صدى لجوقة يرجع ـ تختفي • تختفي • تختفي •

الاول ـ هل تسمع النداء ؟ أصوات تنفجر من صوتي •

الجوقة ـ انه لا يتكلم • انه لا يتكلم •

ـ يضيء الاول نورا اقوى على المقيد ثم يمسكه من شعره ويرفع سوطه الى الاعلى ويضربه فيترنح ويسقط على الارض ـ •

الاول ـ اللعبة غير المجدية تتكرر • يسقط ثم ارفعه • يسقط ثم ارفعه •

ـ يدخل ظل الى الغرفة ـ

الظل ـ الام ستضربه ؟ انه لا يتكلم •

(لا يلتفت اليه يجيبه وظهره نحوه ، بتقرير :)

الاول ـ كلهم يتكلمون في النهاية ويغالبون تاريخا فات •

(يستدير ببطء ويضيف :)

ـ التاريخ : عين مزورة غير موجودة في الحاضر الظل ـ لكنه سيموت •

الاول ـ لن يموت • انهم يمسكون اللحظة البارقة بين الحياة والموت فتضيء لهم مستقبلهم • انهم بحاجةالى هذه اللحظة ولذا ندفعهم ، وندفعهم ، فيسقطون بين أيدينا •

ـ ينسحب الظل ـ

الاول ـ بين أيدينا تتفتح حياتك ايها الرجل • تتفتح أياما جديدة •

ـ يذهب الى جانب اخر ويحضر دلوا من الماء • يصب على الرجل الملقى • فيرفع رأسه :

الثاني ـ أين أنا ؟ آه • آه •

(يصب عليه من جديد •)

الثاني ـ أين سأذهب ؟ كيف جرى ذلك ؟

(يحدق في الغرفة ويتذكر •)

الثاني ـ لا جديد • لا جديد ايها الرجل •

(ينهض ويواجه الاول متضرعا :)

www.alkottob.com

ـ لا اعلم شيئا ٠ لا اعلم شيئا ٠

الاول ـ لا تقل لا اعلم شيئا ٠ من يصدق ؟ (الى جمهور ما :) هل تصدقون ان رجلا مثل هذا لا يعلم شيئا بالمرة (يتحول الى الثاني) انك تعلم شيئا ٠ ولنقل شيئا ما على الاقل ٠ فحدثنا عنه ٠

(قبل ان يكمل حديثه ٠ يتداعى الثاني على الارض ٠ فيسرع الى الدلو ويصب عليه فيفيق) ٠

الاول ـ هل تصعب عليك البداية ؟ ابدأ من اي موضع وسأربط الحديث ٠

الجوقة ـ انه يجيد ربط الكلام ٠ يجيد ربط الكلام ٠ ربط الكلام ٠ الربط ٠

الاول ـ وأنا أمين ٠ ساطلعك على حديثك ثم تصدق عليه ٠ (يتطلع اليه الثاني ٠ ويقول بهدوء :)

ـ لا شيء لدي ٠

الاول ـ اذن ما زلنا مختلفين ٠

(صمت)

الاول ـ لن تموت ٠ اطمئن ٠ لكنك ستتوسل الى الموت ٠

(يرفع سوطه ويضرب بقسوة ٠ يسقط الثاني على الارض) ٠

ـ يطفأ النور لحظة ـ

ـ ٢ ـ

ـ تنار الاضواء قليلا ٠ الرجل الثاني وحده ٠ يرفع رأسه ـ :

ـ الجدران تتقدم نحوي وتستديـر (يغطي عينيه ويدفع يده تجاه الجدران ـ : ستتكوم علي (يصرخ :) قفي ٠ (يفتح عينيه :) أم تراني انا الذي أدور ؟ اننا جميعا ندور ٠ آخ ٠ عشت مليون سنة ٠ انني اخرج من عتمة العصور محطما ٠ يدي في بطني ٠ واصابعي في رقبتي ٠ وعيني في كفي ٠

ـ يدخل الظل ـ

الظل ـ لقد اختصرت العالم الى جروحك ٠ لا شيء داخل الغرفة وخارجها يتحرك سوى جروحك ٠ والنتيجة انت ستوجد مع جروحك ولا شيء خارجك أين رحل العالم ٠ الى أية نقطة ابتعد عن نظرك ؟

الثاني ـ العالم في جروحي ٠

الظل (بحميمية) : بالتأكيد ٠ لانه هو الذي أوجدها ٠ العالم الرديء طبعا ٠

الثاني ـ انك جاسوس ٠

الظل ـ لست جاسوسا ٠ لكنني صوتك الخفي ٠

الثاني ـ انت تهذي ٠

الظل ـ اين تكمن الحقيقة ؟ وهل تأخذ شكلا نهائيا ؟

www.alkottob.com

وكيف يسقط الانسان ويقف ازاء نفسه والآخرين؟ واية مبادىء على الانسان ان يتعهد بموجبها ليكون واقفا او ساقطا في زمنه ؟ الارض واسعة فيها الاف المدن وملايين الافكار • ولكل انسان مدنه • لقد تهدم التاريخ ولم يبق الا حطامه • ستقف وحدك فوق الاطلال المحرقة ، ولن تفلت أبدا • التاريخ انتهى واذا اردت فابدأ من جديد فقد نفضوا الحطام عنك واخرجوك •

الثاني ــ هناك كثيرون • سنجتمع ونبني من جديد •

الظل ــ انت احمق ، تصرخ في الفراغ ، تمزقك خطيئتك •

الثاني ــ ستبني من جديد •

الظل ــ لكنك لن تنجو من هنا •

(يصمت الثاني) •

الظل ــ اذن كيف ستبني من جديد •

الثاني ــ لن تنتقيني الهزائم •

الظل ــ انت مهووس بالتاريخ المجرد • التاريخ المتكون وفق قناعاتك •

الجوقة تردد ــ قناعاتك • قناعاتك • قناعاتك • قناعاتك •

الظل ــ ماضيك لن يتلوث لانه انتهى •

وسيحولك الحاضر الى اتجاه اخر • الى فعل اخر •

الثاني ــ وضميري ؟

الظل ــ هنا الاشكال الاخير !

الثاني ــ لن اخون مواقفي •

الظل ــ تستطيع ان تنغلق على ماضيك لكنك ستفتقد حاضرك • واذا اردت العمل فتستطيعه • تستطيع العمل بطرق مختلفة •

الثاني ــ أرسلوك لتزليقي سهلا اليهم أيها الجاسوس (يبصق تجاهه :) اخرج (يدخل الاول) :

الاول ــ ما بين اللحظتين يكون الفراغ • لكنه فراغ متحرك ، ايها الغرير • تهيأ للوقوف بين اللحظتين • بين الحياة والموت • بين الموت والموت •

ــ تطفأ الانوار قليلا ــ

يدخل شخص معلنا للرجل الثاني :

ــ بعد أن عدت الى صوابك! انت مطلق السراح • (كان الرجل الثاني يستند بظهره على الحائط فيعتدل وتضاء الغرفة مجددا ويصبح في مكان واسع) •

ــ يمر شيخ عجوز ــ

العجوز (يتمتم) : انتهى • انتهى • لم يعد الا

www.alkottob.com

القطار يلألىء وحده وانا أحوم • من هنا ؟ • من انت ؟• الثاني (متباغتا) : انا عابر •

العجوز ــ وهل تحوم مثلي حول القطار •

الثاني ــ اي قطار ؟

العجوز ــ ذاك الذي يعبر مثل الريح • قطار من ضوء يشق الهواء انني اتبعه ، سافر خلفه منذ زمن طويل • هل تجيء معي ؟

الثاني ــ انصرف خلف قطارك ايها الرجل قبل ان يبتعد •

العجوز ــ انه يقف عندما أقف •

الثاني ــ اذن ابتعد •

(ينصرف العجوز وهو يحملق في قطاره غير المرئي) •

ــ تمر امرأة زاهية • تتوقف أمامه ثم تسأله :)

المرأة ــ هل انت هنا منذ فترة طويلة •

الثاني ــ آه • اي •

المرأة ــ ماذا تفعل هنا •

الثاني ــ انني ابحث عن مدينة جديدة •

المرأة ــ مدينة جديدة ؟ لا بد ان تكون بعيدة •

الثاني ــ الا تعرفين طريقا الى أقرب مدينة ؟

المرأة ــ الطريق الذي جئت منه •

ــ وتقترب منه وتهمس ــ :

ــ تعال معي • سنجوب غابات الجمال الكثيفة ونطفو في هدوء الذهن ولن تقف أمامنا جدران المدن •

ــ تصمت ثم تضيف : ــ

ــ ستصعد درجا أخاذا ويحل بك دفء الامل •

الثاني ــ انني أركز اتعابي على الارض • انها وحدها تتحملنا الى النهاية • انصرفي •

ــ تبتعد المرأة بعد ان يؤكد اصراره على البقاء ــ (اضاءات وانطفاءات • ثم يظهر طفل صغير جميل) •

الثاني (ينادي) ــ ايها الطفل • ايها الطفل •

الطفل (متلفتا) ــ نعم • ماذا تريد ؟

الثاني ــ الا تراني ؟

الطفل ــ لا اراك •

الثاني ــ انا هنا • ابصر وجهي • وهاتان كتفاي • وهذا جسدي •

الطفل ــ لا أراك • انت بعيد جدا بين أوراق شجرة كثيفة تطفو على الماء • لك قدمان مثل نهايات الجزر •

الثاني ــ تعال الي • انقذني •

الطفل ــ المسافة بعيدة لا استطيع • لا استطيع •

www.alkottob.com

الثاني ـ اكاد اغرق • امسكني من يـــدي • خذها •

الطفل ـ ان يدك تطفو وحدها •

الثاني ـ (يتوسل) : انقذني •

الطفل ـ لقد تأخرت • سأذهب الى المنزل (ثـم يبتعد) • الثاني (وحده • الضوء يتوسع ويكبر الارض الجرداء •
يهتف الرجل :)

ـ كل انسان ينتمي الى اوهامه وشجاعات احلامه • وبين الاوهام والاحلام يأخذ العالم شكله • والانسان لا يأخذ شكلا واحدا ، ولا يمكن ان يجمـــد ضمن تخطيط يضعه انسان يجيد صياغة النصائح (يصمت قليلا ثم يضيف :) الناس يرتحنـون الى عدمهـم ، عليه • والاخـرون يفـرون مـن العـدم بطـرق مختلفة ، لكنهم يلتقون فوق الهاوية ويحدقون على فزعهم الذي لا ينتهي • ليس للانسان قانون حقيقي الا الثورة أو لا يبقى للانسان الا انهياراتـــه التي تفترس افراحه

ـ يطفأ الضوء نهائيا ـ •

ايلول الدم / ١٩٧٠
الجزائر وهران

ـ النهـــوض ـ

كان صاحب المخزن الصغير الذي يقتعد كرسيا على باب مخزنه يفريني بأن امسكه واهز جسده البدين •

تقدمت منه واومأت اليه ، فاستدار الى داخـــل مخزنه متمتما بترحيبات عديدة • بادرته :

ـ بع لي امرأة •

اندهش البدين :

ـ مـــاذا ؟

ـ آه ••••

تقدم البدين غاضبا • فسألته بنعومة •

ـ اليست لديك منها ؟

زأر :

ـ اذهب • سأهشم رأسك •

أكدت له :

ـ لا تغضب ولا تتحدث بيديك • سأشتري منك

www.alkottob.com

بضاعة اخرى صمت البدين • اقتربت منه وصرت بجانبه وهمست :

ـ اريد ان اشتريك انت •

ـ انا ؟!

وتجدد غضبه :

حدثته بسرعة :

ما معنى حياتك في هذا الدكان الصغير • تجلس فيه كل يوم وتعود الى امرأتك البدينة والى اطفالك القصار البدناء ثم تنام • انك تهدر حياتك •

لم يغضب ، بل رمقني بنظرة استعملنـــي فيها كمجنون ، لكن مظهري العام لم يتح له ان يقتنع انه ازاء مجنون • اجابني :

ـ انني قانع بحياتي • فلا تتدخل فيما ليس لك شأن به •

ـ انتبه يا رجل • ماذا اسديت لحياتك طيلـة السنوات الماضية ، ولدت في مخزن وستموت فيه •

رفع الرجل عصاه خفية ، وضربني على ساعدي ثم على صدري • فتراجعت الى الباب قائلا :

ـ تمهل •

ـ لا ترني وجهك ثانية والا قتلتك •

مضيت وألم ينبض في ساعدي • (في هـذه المرارة

كلما حاولت خلق منفذ للحرية ادركت فنائه) ترسخ في ، وانا احدق من بعيد الى المخـــزن ، ان التاجر مسؤول مباشر عن تناقضاتي ، فتقـــدمت منـــه بتصميم وهتفت به :

ـ اخرج ايها النذل •

رفع عصاه وتقدم مني فثنيت قدمي وركلتـــه على خصيتيه فسقط عـــلى الارض ••• وعدت بهدوء مطلق •

www.alkottob.com

ـ الشاهد ـ

انحدر الصياد وسط الضباب الصباحي الى حافة النهر ، والقى ستارته الصلبة في الميـــاه • وكانت زوارق الصيادين تعبر غائمة •

ثقلت الستارة وأخذ الصياد يسحبها :

ـ ربما تشبث في صخرة •

ثم ظهر رأس امرأة • امسكها من شعرها وجرها الى الجرف • كانت امرأة عارية مقتولة ومسرقة ، تتدلى حلية فوق صدرها •

ارتجف الصياد والتفت • لم ير أحدا ، خلص حبل ستارته واقتلع الحلية وفر راكضا • وراحت الامواج تضرب الجسد الممدد على الجرف •

احكم الصياد غلق باب كوخه واخرج الحلية من جيبه ضغط عليها فانفتحت وبرزت صـــورة شاب يبتسم • اقتلع الصورة باظفره وقرأ خلفها ـ الى حبيبتي • والى الابد ـ • رمى الصورة على الارض وابتسامتها تتوسع وكانت الميـــاه الطينيـة تضرب جثة المرأة المسرقة على الجرف •

ـ العلبـة ـ

ضغط على الاكرة ودفع • كان الباب مغلقا • قرع الباب بقبضته فالمته • تراجع وهتف :

ـ افتحوا • افتحوا • لقد عدت •

كان قد ارتحل منذ سنوات الى الخارج ليعمـل ويصبح ثريا • انتظر انفتاح الباب أو رأسا يطل من نافذة ، ثم صاح مجددا :

ـ افتحوا لقد عدت •

ناداه احد الجيران ، عندما سمع صخبة :

ـ لا يوجد أحد في المنزل • رحلوا منذ سنوات •

انحنى وحمل حقيبته وسار لا يعرف ماذا سيفعل؟

www.alkottob.com

ـ العصفـور الاسود ـ

صرخ صوت :

ـ عبد الرحمن ٠

تلفت الرجل : همم ٠٠ !!

أمره الصوت :

ـ قـف ٠

سأله ببرود ـ ماذا تريد ؟

ـ تعال هنا ٠ بجانب الجدار هنا ٠

ـ همم ٠٠!!

هبت نسمة خفيفة عبر الظل ٠

سأله الصوت ـ لماذا طلقت اختي ؟

ـ كانت تخونني ٠

صاح الصوت ـ اختي لا تطلق ٠

صرخ عبد الرحمن ، ثم هبط يتلوى ببطء الى الارض والخنجر يدفعه ، واستطالت ساقاه فغمرتهما الشمس ، ومضى الاخر عابرا الطريق ثم اختفى ٠

ـ الشاحنـة ـ

التمعت بقعة من الضوء على كتفـــه ٠٠ كانت تنحدر بخط مستقيم من النافذة الصغيرة المنحوتة في اعلى الجدار ٠ رفع كتفه فنزلت البقعـــة على صدره ٠

كان رأسه تجاه الاخرين في القاعة المربعة الرطبة ، ينظرهم للمرة المليون و يستشعرهم مترسبين كحصوة في اعماقه ، متفرقين بمناماتهم الملونة ، منسوجين على الافرشة الارضية ٠ كلهم يذوبون في بؤرة صغيرة واحدة تخترقه وتتكثف في اعمـــاق صدره ، وتعجزه عن الحركة ٠ استدار اليه جسد طويل ، ممدد ، الى جانبه ، قائلا :

ـ اعطني سيكارة ٠

وكان الجسد يوازيه من الجهة الثانيـة ، يداه معقوفتان تحت رأسه ، وعيناه يابستان بين جفونه ٠ والاجساد الاخرى خطوط متعاكسة مثبتة بالارض ٠

www.alkottob.com

(لا تملك ان تحبهم أو تكرههم • هم موجودون وانا موجود دائما) انه ليدهش في هذه اللحظة بالذات • ان شخصا اخر يحل في جسده يتعامل مع الاخرين : يتكلم ويتناقش ويتحرك معهم ، لكنه هو ، في الداخل ، بعيد عنهم ، في مكان آخر منفصل ، لا مسافة بينه وبين هذا المكان •

كانت العينان اليابستان اللتان تجاورانه ، تتحركان على جريدة ببعد محدد ، لا يتغير ، وكان يراقب وجهه ، وحين اتصلت عيناه بحدة ، في جزء من الجريدة •• سأله :

ــ هل من جديد ؟

استمرت العينان في اتصالهما بالجزء ، ثم انفصلتا وتراخت الجريدة بين يديه وهو يواجهه • ضحك الجسد ، وعاد يسأله :

ــ هل من جديد ؟

امتدت الجريدة في يده مستقيمة ، لكنه لم يأخذها وتصلب وهو يراقب بقعة الشمس ، تصل الى عنقه وعناقيد الدخان تتجمع في عمود الضوء الكثيف ، تمتد فيه وتتصاعد متسلقة ثم تتلاشى منتشرة في هواء الخارج •

انحسر وعيه ، واصبحت عيناه فجوتين ملامستين لجميع الاجساد المنطرحة مرتبطتين بانبوبتين في اذنيه اللتين رهفتا للاحاديث الكثيرة :

ــ لم يعودوا يتكلمون الا لماما عن السير الطويل في الشوارع • لم يعودوا يفكرون بالحرية •

التمعت عينا جاره وهمس له :

ــ كف عن احلامك الثقيلة بالحرية •

حقا • كان البشر والطرقات والمباني في مدينته خطوطا مشوشة ولم يعد يقوى على تصور ابعادها •

واضاف : ان يدي ترتجفان كلما تمثلت نفسي ألمس امرأة وزحف الى جانب اذنه ــ اتبعني عندما تبدأ الزيارة • انتشر الحراس في باحات السجن وفتحت ابواب الزنزانات وأخذ السجناء يبحثون عن اقربائهم واصدقائهم ويهرعون اليهم ثم ينتحون بهم بجانب أحد الحيطان •

بقي الرجلان جالسين • لم يكونا ينتظران أحدا يزورهما ، ودنف ذو العينين المتيبستين الى المرحاض وأشار للثاني أن يلحقه ، ثم اشرأب بعنقه الى النافذة الصغيرة ورفع يده اليه ليحذو حذوه •

كان صوت نسائي يتحدث من أسفل النافذة الى احد السجناء بلهفة ، كان صوتا عذبا وانثويا

قال الثاني ــ ما الامر ؟ •

وضع الاول يده على فمه وقال ــ اسكت • ثم أخذ يرتعش •

خرج وتركه معلقا يده في النافذة •

www.alkottob.com

لم تكن لديه رغبة في الخروج الى باحـــة السجن ورؤية البقع البشرية المتناثرة فيها • ورقـــد في مكانه • وعندما انتهت الزيارة واخـــذ السجنـــاء يعودون وأيديهم محملة بالاكياس المنتفخة والقدور خرج الرجل الاول من المرحاض وهو يمسح عرقه بكمه وعاد وتمدد بجانب الرجل الثاني ، وقال له ـ لقد ذهبت المرأة ويبعد عن ذلك الرجل ، عندمـا لقد ذهبت المرأة كان الرجل الثاني مشمئزا وأراد أن يدير ظهره ويبتعد عن ذلـك الرجل ، عندمـا سمعه •

ـ اليس عظيما ان تسمع صوت امـــرأة ليست منتبهة اليك ، في الوحدة الجارحة التي نعيشها انها الحرية •

لم يجبه • كان يائسا للنهاية • والنـــور راح يشحب في نافذة الزنزانة العليا •

ـ اضـــواء ـ

كان يصحو دائما على فقره •وحين لا يعود ينظر الى شيء معين ، ينثني بين الارقام الضخمة للنقود ومسرات لا تحد • كان يتوقع احيانا ان يلتقـــط حافظة مرمية ، محشوة بأوراق نقدية كبيرة ، وفي احيان أكثر يعثر على حقيبة مليئة بأكداس الاوراق النقدية •

(حين تصبح النقود بين يديه ينتهي حاضره ، ويطفر الى مستقبل بعيد ، في مكان بعيد ، لحياة لا يمكن ان يظفر بها في مكانه) •

لكنه حين يذهب الى عمله الوظيفي المستتب تأسره العلاقات المعددة وتمحى من ذهنـــه اكداس النقود ويصبح ضليعا بالمسائل الصغيرة •

كانت الشمس تنشر اشعتها الصباحية الدافئة عندما انطلق الموظف الى دائرته مارا بجانب حديقة عامة • أخذ يوجه انظاره المتفحصة الى كتل النباتات

www.alkottob.com

المتكاثفة وانتبه الى شيء أسود بارز بين فسائل نخلة ٠

تمهل الموظف في مشيته مضطربا وقلبه يخفق ، وكان بعض الموظفين يلوحون من بعيد مسرعين الى دوائرهم ، وفيما عداهم لم يمر احد في الطريق المنعزل بجانب الحديقة ٠ (ستمر بضع دقائق ويبدأ الدوام ٠ سيخلو الطريق من المارة وعندئذ سألتقط الحقيبة ٠ سأقول غدا انني كنت مريضا ولم استطع الحضور) ٠

استدار الموظف حول الحديقة متباطئا وهو يرمق موضع الحقيبة لئلا يسبقه أحد اليها ٠

(كنت أعلم ان حلمي سيتحقق يوما) ٠

أصبح الطريق خاليا فلم يضع الموظف لحظة ٠ رفع ساقه فوق السور الوطيء ٠ دانت الحقيبة المخفية سوداء صغيرة ، انتشلها من بين السعف الصغير واندفع الى جانب السور ٠ كان يود ان يختفي فورا من المكان واراد ان يركض ولكن خشي ان يراه أحد فيشك فيه ٠

تمهل بعد ان قطع أربعة شوارع (ساعود الى المنزل ٠ هناك استطيع اخفاء النقود ثم امزق الحقيبة وأتلفها) ٠

استكان رعبه بعد ان اغلق باب منزله خلفه ٠ ولم

يستطع الانتظار وفتح الحقيبة ٠ كان في اعلاها ثياب نسائية قديمة ٠ ابتسم الرجل ٠ وضغط الثياب بكفة ورفعها ٠ وابصر في قاع الحقيبة رأس امرأة أسمر مقطوعا وكانت عينا الرأس مفتوحتين اشتدت دقات قلبه وأعجزه رعبه عن الحركة والتفكير ٠

سقطت الحقيبة من يده وارتطم الرأس بالارض ٠ خيل اليه انه يسمع لغطا امام باب منزله ٠٠ اعاد الثياب بسرعة الى الحقيبة واغلقها ٠ وارهف سمعه وذهب الى الشباك مرتجفا ودفع باصبعه جانب الستارة ونظر الى الخارج ولم يبصر أحدا ٠

تساءل برعب (ماذا سأفعل ؟ سيقولون انني القاتل لو وجدوا الرأس لدي ٠ لن تصدق الشرطة لو أخبرتها بالحقيقة ٠ ستنتهي حياتي وسأفقد وظيفتي) ٠

توقف الموظف (سأخرج بها ليلا وارميها واتخلص منها) وعاد يحسب الوقت الطويل الذي سيمضي ٠ ربما شاهده أحد وهو يحمل الحقيبة ٠ سيقبض عليه بلا شك ٠ وتساءل (ماذا لو دفنت الرأس في حديقة منزلي ٠ كلا سيكتشف يوما ما ويقبض علي) ٠

(اسمه وعنوانه وظيفته ينشران في الصحف ٠ القاتل ؟ ٠ اللص ؟ اللص القاتل ٠)

(انني لم أقتل ولم أسرق ٠ لكن من سيصدق ؟

www.alkottob.com

وهل يوجد اكثر اثباتا من رأس مدمى مخبـــوءا في حقيبة داخل المنزل ؟ ربما سيعثرون على الجسد في مكان آخر • وما فائدة الجسد ؟ لقد قطـــع الرأس لاخفاء شخصها • اذن الرأس هو المهم • والرأس هنا في المنزل) •

توتر جسد الموظف • رفع الحقيبة وخبأها تحت كومة من الافرشة والاغطية • ثم خرج الى الطريق ليتأكد من عدم مراقبة منزله • وابصر ثلاثة اطفـــال يلعبون بعيدا •

تظر الى حائط جاره (ماذا لو قذفت الرأس الى منزله ؟ لكن صوت الارتطـــام سيجعلهـــم يقفزون ويكتشفون الامر) • وعند حلول الظلام كان الموظف متعبا وجائعا وصورة الرأس المخبوء ماثلة امامه •

(سأعدم في النهاية • لا بـــد مـــن التخلص من الرأس) • خرج الموظف من منزله وسار في الطريق المؤدي الى الحديقة العامة وهو يراقـــب المنعطفات والزوايا بدقة • ثم عاد الى منزله واخرج الحقيبة وانتزع الرأس ممسكا به شعره الطويل ووضعه في كيس ورقي كبير •

ـ لن يشك بي احد • سيعتقدون انني احمل بعض الاطعمة • توقف الموظف بجانب السور وتهيأ كما لو كان سيتبول اذا حدث وان سأله احد مـــاذا يفعل •

لم يكن هناك اي عابر في الطريق المظلم • فتـــح الكيس ودفع الرأس الى ارض الحديقة ثم طـــوى الكيس ووضعه في جيبه •

وصل الى منزله (الحقيبة • لا بد من ازالـــة البصمات عنها) •

امسكها ومسحها بعناية ثم رفعها وخرج مسرعا • توجه نحو النهر ونزل بطيئا ، المنحدر الترابـــي ، وصار بجانب الماء •

جلس ووضع الحقيبة أمامه ، وبعـــد ان تلفت دفعها بقدمه حتى غاصت (ستمحو المياه البصمات المتبقية) • ولم يستطع الموظف ان ينام • كانـــت الرؤوس المقطوعة تحدق فيه من حقائب كثيـــرة مصفوفة حوله •

وفي الصباح جلس الموظف خلف مكتبـــه وراح يحدق في الاوراق التي بدأت تلتمع في اطرافها بقع الدماء •

www.alkottob.com

ـ الالتحـام ـ

كان المطر كثيفا وسريعا والريح تدفعه مدويا ، مرتطما بالطريق • والبيوت مقفلة ،واسترة النوافذ مسدلة كان الطريق خاليا والمطر يتسطح تضيئه كتل النور المرتجة من الاعمدة الكهربائية •

اسرع رجل مبتل بجانب الحيطان راكضا وانزلقت قدمه في فجوة ترابية وهوى نصفه الاعلى الى الامام، وأحس بالماء ينفذ الى صدره والمطر ينغرز في شعره وملابسه •

كانت قدمه تؤذيه وأخذ يدفع رجليه متقدما بصعوبة • وكان بيته ما يزال بعيدا (سأصل بعد قليل واخلع ملابسي المبتلة ثم أضع فوقي الاغطية الثقيلة) •

والتمعت في ذهنه صورة امرأته واقفة خلف الباب تمد رأسها بين دقيقة واخرى لتلمحه ، وعندما ستتأكد من وصوله ستفتح الباب وتخطو الى الخارج وتقول له بصوت قلق ـ تأخرت كثيرا • فيجيبها

باعتياد: أقفلنا المطعم وأتيت مباشرة • لماذا لم تنامي؟ فتقول له : لا أستطيع النوم قبل ان اراك • ثم يدلفان الى المنزل •

احس انه لا يستطيع الخطو وألمه يشتد ، وكان المطر قد بل حتى ملابسه الداخلية • توقف تحت شجرة يوكالبتوس ورفع قدمه وفركها • اشتعلت فيها نار من الالم (ساستريح قليلا ثم امضي • البرد قاس) • طوى رجله الصحيحة ومد ساقه المصابة وجلس •

كانت الريح تسوق المطر على جسده المحمي خلف الجذع وساقه الممددة (انها تقف خلف الباب ترتجف من البرد •

يبللها المطر عندما تمد رأسها من الباب • سأصل بعد قليل وكالعادة يكون الاطفال نائمين) ونظر الى ساقه المغمورة بنثيث المطر (ترى هل استطيع العمل غدا؟ سيقدر صاحب المطعم حالتي ويساعدني • لكنه سيجد بديلا لي فورا اذا لم احضر • ترى هل يعيدني الى العمل اذا شفيت ؟) وابتسم بوثوق (طبعا سيعيدني الى العمل • سبع سنوات وأنا اعمل عنده وتعرضت من أجله لشتائم وضرب السكارى والقساة لكنه ليس وفيا • ماذا سيأكل الصغار وامهم لو انقطعت عن العمل ؟) انتابته حماسة فقلص ساقه واستقام على الرجل الصحيحة واراد ان يتقدم الا

www.alkottob.com

انه لم يستطع ان ينقل رجله خطوة واحدة · واحس بالفزع يغمره وتضاعف البرد اللاســـع لجسده (ترى ماذا سيحدث ؟) انه لا يستطيـــع التحرك (سأتجمد في البرد) عندما وعى انه سيموت · حدق مرتاعا في الطريق والى الدور المقفلة (سيمر شخص من هنا وينقذني) · لكن الطريق كان خاليا والوقت متأخرا · وانتظر الرجل طويلا مرور عابر وسرى في جسده الاعياء (لن أموت · من يطعم الصغار ؟) ونظر الى بيت كبير أمامه مظلل بالظلام (سيدخلونني ويطلبون لي سيارة اسعاف وربما اوصلوني الى منزلي) · كان الالم يسحقه وهو ينقـــل خطواته البطيئة ويغوص في الماء متجها الى بوابة المنزل · تمعن في الجدار باحثا عن زر الجرس ولمحه فمـــد يده وضغطه ضغطة خفيفة وانتظر وهو يمســـك حديد البوابة المتقاطع ويتشبث به · وشعر انـــه انه يتداعى وزحف يائسا الى الجرس وضغط بيده عليه واستطاع ان يسمع الرنين المتصل في الداخل وبدا عبر الزجاج نور يضيء · فرفع يده عن الجرس وامسك الباب بيده الرخوة · صرخ رجل من النافذة:

ـ من ؟

قال الرجل نحو مصدر الصوت بأعياء:

ـ افتح الباب · سأموت من البرد ·

صاح الصوت ساخطا :

ـ هذا ليس فندقا ·

هتف الرجل متوسلا :

ـ من سيطعم الصغار ، ادخلني لوجه الله ·

صاح الصوت : انتظر ·

قوي الرجل فجأة وتماسكت يداه على الباب ولم يأبه بالمطر الذي يغمره ولا بالريح التي تثلج جسده وانتظر صوت الباب وهو ينفتح · لكن الباب لـــم ينفتح ·

(ذهب ليحضر المفاتيح · لا بد انها في غرفته · سيحضر المفاتيح) انطفأ النور وبدأ الوقت الثقيل يفقده توازن جسده · وكانت ساقه الصحيحة مثقلة ومتعبة لا تستطيع الاستقامة · هوى الرجل علـــى ركبتيه وجمع قبضة يده واخذ يضرب الباب ويصرخ متوسلا :

ـ افتح الباب · افتح الباب سأموت ·

ولم ينفتح الباب ·

وشع فوق المياه ضوءان قويان يبرقان وصـــوت سيارة سريعة · كان الرجل ممددا عندما توقفت السيارة وانفتحت ابوابها وقفز منها اربعة رجال · وجهوا نحوه اسلحتهم وقرع احدهم الجرس هاتفا :

ـ الشرطة ·

www.alkottob.com

اضيئت انوار عديدة وخرج رجل سمين يرتعد وهو يمسك مسدسا بيده • قال للشرطة :

ـ كان اللص يقرع الباب عندما خابرتكم •

التمت أعين الشرطة على الرجل الممدد وسأله المفوض •

ـ هل هو هذا ؟

تقدم السمين يحذر ناظرا اليه وقال خائفا •

ـ انه هو • انه هو •

رفع رجال الشرطة الرجل الملطخ بالطين وادخلوه سيارتهم وكان مغميا عليه ، وضعوه بينهم ، وانطلقت السيارة • التفت المفوض الى الشرطة قائلا :

ـ سيموت من البرد •

وكان تثار المطر يغمر زجاجات توافذ السيارة المقفلة الدافئة المسرعة •

ـ زوجة المحارب ـ

عادت زوجة المحارب من مقر القيادة صامتة ، متذكرة وجه ضابط الاستعلامات وهو يستثنيها من صرامته :

ـ لا اخبار جديدة •

(لا اخبار جديدة)

(لا اخبار جديدة)

(لا اخبار جديدة)

كان منزلها مغلقا ، وعندما فتحته ،وجدت طفلها الصغير جالسا بجانب جدته العمياء وهي تقص له حكاية قديمة •

قطعت الجدة حكايتها وسألتها : ماذا يقولون ؟

وضعت الزوجة حقيبتها على المنضدة واجابت بتنهد •

ـ لا اخبار جديدة •

www.alkottob.com

تعلق الصغير بها سائلا : ماذا جلبت لي ؟

اخرجت من جيب معطفها كيسا صغيرا من الحلوى ووضعته في يده ٠

عندما تكون وحدها ، وتنجو من عيني الطفل المتعلقتين بها تبكي بصمت ويمثل زوجها الضابط بين دموعها ٠

انه حاضر باستمرار في الغرفة ٠ كانت ملابسه المعلقة واحذيته ودواته وعطوره وكتبه ومنفضة سجائره تجعله يتنقل بينها ثم يوجه لها كلمة بين وقت وآخر وضحكته المرتفعة تهز خمودها ٠

انه يرتدي ملابسه ثم يضع لمسة من العطور على شاربيه ويجلس على الكرسي يدخن ٠ يتحدثان معا ٠ يلتقط الطفل ويضعه على فخذه ٠ يداعبه ويرقصه ثم يهبط ويقدم الطعام لامه العمياء ٠

كم كانت تفزع عندما يبتعد ليلة عن منزله ؟ فقد اعتادت وجوده الغريب الآسر ٠

(لا اخبار جديدة) ٠

عاد الضابط قبل اسابيع من عمله وقال لها ــ سنذهب الى الجبهة ٠

وكانت حماسته وبهجته قد خففا قلقها وجعلها تنساق خلف حماسته وهو يحدثها عن النصر ٠ وعن الوقت الذي حان للاثبات ٠

وبدأ يجمع ادوات حلاقته واستبدل ملابسه ثم حمل حقيبة صغيرة وقبلهم جميعا وهو يضحك ٠

قالت احدى جاراتهم : سمعه ابن عم زوجي وهو يتحدث من راديو العدو في مقابلات الاسرى وينعث بتحياته لكم ٠ وأخذت امرأة اخرى تطرق الباب مستبشرة : سمعه ابني بأذنه ٠ وقيل لهم انه شوهد وهو يتحدث في تلفزيون العدو وان صورته نشرت مع مجموعة من الاسرى ٠ لكن اسمه لم يرد في قوائم الصليب الاحمر ٠

كانت المرأة تنصت والامل يشع على وجهها متذكرة البرقية التي تلقتها قبل أيام كثيرة (وقع اسيرا بيد العدو وسريته العسكرية على استعداد لاجابة جميع طلباتهم)

ذات مساء حضر أحد الجنود وقال انه كان يعمل تحت امرته ٠ وفي ذلك الصباح اصيب بشظية صغيرة في كتفه فحملته الى الطبيب العسكري فعالجه وطلب منه الذهاب الى دمشق للاستراحة ٠ فقال للطبيب : هل انتهيت ؟ انها لا تؤلمني كثيرا ثم خرجنا وقلت لسائق سيارة القيادة ان يذهب به الى دمشق ، لكنه أمرني بالعودة الى الدبابات ٠ ولم استطع مخالفة امره ، وعدنا الى الميدان حيث ركب دبابته من جديد وانطلق الى الامام ٠ وفي الليل عاد اثنان من طاقم الدبابة وقالا ان الدبابة اصيبت وانهم

www.alkottob.com

جميعا قفزوا منها واضطروا تحت ضغط هجوم العدو الى الانسحاب وانهما شاهدا الضابط ينقذف الى الجهة اليسرى ، لكنهما لا يعلمان ماذا حل به • ننتظر قدومه طوال الليل ، لكن العدو تقدم ووصل الى المنطقة التي اصيبت فيها دبابته • ولم نعلم عنه شيئا منذ ذلك الحين •

كانت الجدة العمياء جالسة ، صامتة تستمع الى رنين الجرس • قالت للزوجة •

ـ من ؟

قالت الزوجة ـ انه صديقه • يسأل عن آخر اخباره • وكانت المرأتان تهبان عند سماع صوت جرس الباب او التلفون وكانتا تتوقعان عودته في كل لحظة وتحجبان اليأس بالاخبار التي تصلهم وبحب الحياة •

قالت الجدة ـ سيعود • قلبي يحدثني انه سيعود

وكانت الزوجة مبددة في التناقضات وفي الايام التي تمضي دون ان يظهر لكنها تحمي أملها بشجاعتها قالت : أجل سيعود • واستمرت المرأتان تفكران فيه صامتتين ، وتنتظران جرسا يرن •

صدر للكاتب :

١ ـ الجسد والابواب ـ قصص ـ ١٩٦٩

٢ ـ القنـاع ـ قصص ـ ١٩٧٠

www.alkottob.com

فهرس

رجل ما .. دون التقاء	٥
افراح	٨
اشراقات	٩
العنكبوت	١٢
آه	١٣
نور من ورق	١٤
الاختفـــاء	١٦
القوس	٢٠
البنـــادق	٥٠
الجدران	٥٢
الرصيـــف	٥٧
النهـــوض	٦٧

www.alkottob.com

الشاهـــد	٧٠
العلبـــة	٧١
العصفور الأسود	٧٢
الشاحنـــة	٧٣
أضـــواء	٧٧
الالتحـــام	٨٢
زوجة المحارب	٨٧
صدر للكاتب	٩١

www.alkottob.com

مطبعة الحرية - بيروت

www.alkottob.com